جامعة محمد بوضياف

كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية

قسم الفلسفة

المقياس : **منهجية البحث الفلسفي**

المستوى : **السنة الثانية : ليسانس**

الدكتور : لخضر حميدي

<u>تمهيد</u> :

يتساءل الكثير من الطلبة عما إذا كان هنالك منهج محدد للبحث الفلسفي يلتزم به الفيلسوف حين يقيم إحدى نظرياته . ولعل الذي دفعنا لهذا السؤال سببان :

يدرك طالب العلوم الرياضية أو الطبيعية في وضوح مناهج البحث في هذه العلوم ، كما أن بين علماء الرياضيات والطبيعيات إجماعا على هذه المناهج ، ذلك أن منهج البحث في الرياضيات هو النسق الاستنباطي أو ما يسمى ب (الأكسيوماتيك) تسبقه دفعة حدس واضح .

أما منهج البحث في العلوم الطبيعية هو المنهج الفرضي الاستنباطي ، يتلوه خطوة التحقيق التجريبي حين يكون ذلك ممكنا .

لكن الأمر يختلف بالنسبة لمناهج العلوم الاجتماعية والإنسانية لعدم إجماع الفلاسفة والعلماء على منهج واحد محدد يلتزمون به جميعا .

طرح الإشكالية :

فهل **هذا الغموض ناتج عن غموض الأمر في أذهان طلبتنا الأعزاء ؟**

أم أن طبيعة الفكر الفلسفي تقتضي ذلك ؟

وهل هذا التباين بين الفلاسفة في مناهجهم مرض يتطلب علاجا ؟

أم أنه من طبيعة الفكر الفلسفي ذاته ؟

ولعل السبب الأكثر أهمية في إلقاء سؤالنا ارتباطه بسؤال أعم وهو :

هل يمكن للفلسفة أن تكون علما ؟

قد نسارع هنا إلى القول وبكل تواضع ، بل قد نسارع إلى استباق اعتراض كون أن السؤال يقوم على سوء فهم للفلسفة لكونها غير العلم ، ومن ثم لن تكون علما بأي حال من الأحوال رغم التقدم المذهل للعلم في السنين الأخيرة واقتحامه مجالات الفلسفة إلى درجة أن أصبحنا نتكلم عن الفلسفة التطبيقية أو ما يسمى ب **(الفلسفة التطبيقية)** ، أو **" البيوتيقا "**.

لكن ومع ذلك فإن هذا الاعتراض قائم على تصور قاصر للعلم – قصر العلم على العلوم الطبيعية أو الرياضية وحدها .

فإذا كانت هذه العلوم هي كل العلوم فليست الفلسفة علما بكل تأكيد .

لكننا نصادر على أن لتصور العلم – أي علم – **ثلاث مقومات أساسية** :

- موضوعات بحث محددة تميزه عن العلوم الأخرى .
- منهج محدد متفق عليه بين كل المشتغلين به .
- نتائج مثمرة بحيث يبدأ الباحث عمله حيث انتهى سلفه ، فيعدل من نتائجه أو يتغلب على فجواته ، أو يطورها .

فإذا صح هذا التصور ، جاز لنا حينئذ أن نبحث فيما إذا كان للفلسفة موضوعات محددة ومنهج محدد ونتائج مثمرة ، فإن تحققت فيها هذه المقومات استحقت شرف العلم ، وإلا لن تكون علما كذاك .

وليس السؤالان السابقان – عن المنهج الفلسفي وإمكان الفلسفة علما – بدعة ، فقد سألهما كثير من الفلاسفة ، وأبرزهم **(ديكارت وكنط وهوسرل ورسل)** وغيرهم .

ولكن لكل منهم صياغته للسؤال ، وموقفه من الجواب. لقد عزى ديكارت تضارب النتائج التي يصل إليها مختلف الفلاسفة حول مشكلة واحدة الى تخبط في المنهج، فاقترح منهجا، روحه بداهة الرياضيات ويقين نتائجها ، آملا أن يكون عليه إجماع .

لكن كنط لم ير في المنهج الديكارتي فصل الخطاب، ورأى أن الفلاسفة لا زالت تفتقر الى منهج ، بل نعى أيضا أن موضوعاتها لم تتميز بعد .

جاء هوسرل ورأى أن الفلسفة لا ينقصها تحديد موضوعاتها وإنما تحديد منهجها . فوضع منهجا يدعو فيه إلى ضرورة التخلص من أي اعتقاد أو فرض سابق أو تحيز خاص مهما كان راسخا ، فذلك يحفظ للبحث نقاءه ويكفل للنتائج موضوعيتها .

أما " ب- رسل" فإنه لا يعترض على ما وصل إليه " هوسرل " ، وأن كان رأى أن التخلص التام من الفروض والتحيزات الراسخة أمر غير ممكن .

ولقد قدم رسل منهجا رأى فيه أن الفلسفة يمكن أن تصير علما وأن تتقدم إذا قسمنا مشكلاتها المعقدة أجزاء ، وتناولنا كلا منها على حدة ، في أناة وصبر ، وإذا أفدنا في الفلسفة من تطورات المنطق والعلوم بقدر ما تسمح به طبيعة الأشياء .

نلاحظ أن الفلاسفة بعد رسل لم يجمعوا على منهجه أو قبول كل نظرياته ، فبعضهم متحمسون وبعضهم الآخر خصوم .

وعليه فهدفنا إذا هو وجود وقيام منهج محدد يلتزم به الفلاسفة أثناء دراستهم لمختلف الظواهر الإنسانية والاجتماعية .

هذه الظواهر التي تتصف بعدم الثبات كونها تنطلق من الإنسان وتعود إليه على غرار الظواهر الاجتماعية ، والظواهر التاريخية المحدودة بالزان والمكان (الزمكانية) ، والظواهر السيكولوجية وغيرها .

ظواهر تتأثر ببعضها البعض مما نجم عن ذلك تعدد المناهج فهذا منهجا تاريخيا ، وهذا منهجا اجتماعيا والثالث منهجا سيكولوجيا ، ناهيك عن المنهج الترنسندنتالي لكانط ، والمنهج الجدلي لهيجل ، والمنهج الحدسي لهنري برغسون .

لكن المشكلة تبقى قائمة لأننا نتجاهل هذه المناهج ونريد منهجا واحدا يمكن لأي باحث في الفلسفة أن يقبله دون تقيد بمذهب فلسفي معين .

نريد منهجا يقف على قدميه مستقلا عن أي مذهب لكي يمكن لأي فرد استخدامه حتى لو لم يقبل مذهب الفيلسوف الداعي إلى هذا المنهج . منهج يحوي العناصر المشتركة بين تلك المناهج بحيث يقبله كل الفلاسفة رغم اختلافاتهم .

كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية

قسم الفلسفة

المقياس : **منهجية البحث الفلسفي**

المستوى : **السنة الثانية : ليسانس**

الدكتور : لخضر حميدي

قضاياه ــ آلياته

كثيرا ما ينطوي وصفنا الشخصي لشخص ما بأنه فيلسوف على قدر غير قليل من التهكم .

والواقع أن كلامه الذي يتفوه به يحمل شيئا ما من الفلسفة ، ولكن طريقته وأسلوب عرضه لخطابه بعيد كل البعد عن منهج الفلسفة . ولهذا قيل سابقا بأن :

" جل الناس يتفلسفون ، ولكن ليسوا كلهم فلاسفة " . إن التفلسف يعني فيما يعنيه الخروج عن المألوف من الأفكار ، والسائد من المفاهيم والمعتقدات . ولكن الفلسفة مع ذلك لا تعني بالضرورة الغموض ، بل إنها بالعكس من ذلك تتوخى الوضوح ، وتنشد الدقة في كل شيء حتى في تلك الأمور التي يعتقد الناس عادة بوضوحها إلى درجة أنهم قليلا ما يخطر لهم أنها في حاجة إلى إيضاح .

ومن المفارقات العجيبة أن محاولة توضيح ما يسلم الناس بوضوحه ، كثيرا تشوش عليهم تفكيرهم ، وتبعث الغموض في أذهانهم ، وقديما قال **" أبو الطيب المتنبي " :**

ولـــــــيس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليـــــل

إن موقف " المتنبي " هنا لا يرضي الفلاسفة ، فالتسليم بوجود شيء ما والحكم عليه بدون دليل هو بالضبط ما يرفضه الفلاسفة .

على هذا الأساس لعل من **طبيعة آليات التفكير الفلسفي** مواصلة البحث والاستمرار في إلقاء الأسئلة . **لكن هل هذا يجعلنا نقول أن الفلسفة هي مجرد أسئلة ؟**

الحقيقة أن الأمر كذلك بالفعل ، فالفلسفة هي أولا وقبل كل شيء عملية تساؤل مستمرة .

على أن الدأب على إلقاء الأسئلة وإثارة المشاكل ليس عملا خاصا بالفيلسوف وحده ، بل إن الناس جميعا يتساءلون ، بل قد تنتابهم فترات لا يكفون من خلالها عن التساؤل . وكلنا نعرف مدى ولوع الأطفال بإلقاء الأسئلة على آبائهم وأمهاتهم حول أمور شتى ، وكثيرا من هؤلاء الآباء والأمهات لا يخفون تضايقهم من أسئلة أولادهم التي تتسم أحيانا بالإلحاح والإحراج .

وقد يقول البعض أن أسئلة الأطفال ليست فلسفة كونهم يسألون غيرهم ممن يعتقدون أنهم أكثرهم منهم علما ، أي آبائهم وأمهاتهم . ولكن على الأولياء تعليم أطفالهم استعمال عقولهم في التفكير للوصول إلى الحقيقة التي ينشدونها .

إن المرء لا يرضى بالحقيقة إلا إذا اطمأنت إليه نفسه ، واقتنع بها فكره .

من آليات التفكير الفلسفي أنه سؤال عام ، يتناول الأمور العامة ، أي **" الكليات "** ولا يهتم بالجزئيات .

فمثلا لو طرحنا السؤال التالي : **هل الزمان هو مقدار حركة الكواكب ؟ أم أنه عبارة عن توالي حالات الشعور ؟**

هنا سنكون أمام نوعين من الزمان :

1-زمان طبيعي ، علمي ، خارجي . **-1**

2-زمان نفسي ، شعوري ، داخلي .

وقد يؤدي بنا ذلك إلى طرح مشكلة علاقة الأنا والعالم من هذه الزاوية نفسها ، فنلاحظ مع الفيلسوف الفرنسي الروحي **" هنري برغسون "** أن هناك نوعين من الأنا :

الأنا السطحي وهو المنشغل مع حوادث العالم الخارجي المرتبط **بالزمان الطبيعي .**

والأنا العميق وهو ذلك الغارق عادة في حوادث الشعور في تتابعها وديمومتها ، والمندمج في **الزمان النفسي .**

وقد نسلك مسلكا آخر فنتساءل :

هل فكرة الزمان فكرة استقيناها من خبراتنا وتجاربنا ؟

أم أنها فكرة أولية قبلية سابقة على كل تجربة ، فكرة نابعة من قوانا العقلية ذاتها كما هو الأمر عند الفيلسوف الألماني " ايمانويل كانط " ؟

إن الفيلسوف إذن وفي حقيقة الأمر شخص يتساءل كبقية الناس ، يضع كثيرا من الأمور الواضحة موضع السؤال كما يفعل جل الناس في أغلب الأحيان . ولكنه يمتاز عن غيره بخاصيتين أساسيتين :

أولاهما : الاستمرار في التساؤل وطرح المشاكل الفكرية ، تلك المشاكل التي تثيرها الواحدة تلو الأخرى ، جملة الأسئلة التي يلقيها على نفسه .

ثانيهما :تجاوز المشاكل الجزية الفرعية والارتفاع بأسئلته إلى مستوى **المشاكل العامة.**

وعلى هذا الأساس من أهم آليات التفكير الفلسفي :

تجاوز الخاص إلى العام ، بمعنى يتعدى الجزئي إلى الكلي .

وهو فوق كل ذلك يحاول أن يربط الأمور التي يبحثها ، والمشاكل التي يطرحها بحياة الإنسان وتجربته الإنسانية حيث يكون لسؤال مغزى في هذه التجربة البشرية .

Faculté des Sciences humaines et Sociales

DEP : PHILOSOPHIE **Dr: Hamidi Lakhdar**

Module: Français **Niveau : 2eime Année**

<u>Texte</u> :

La télévision est supportable pour l instant ! IL ne faudrait pas exagérer sur la violence ! Tout le monde est fout de la télévision .

Les gens vivent sous le même toit sans s adresse la parole ou presque . Les rares échanges portent encore sur le chois du programme . Les repas en famille sont avales en silence assis de façon a voir le téléviseur pour ne rien rater .

Les enfants parlent des filmes ou émissions vus . Ce sui pourrait être intéressant . Hélas les émissions pour enfants sont souvent d un niveau médiocre . IL faudrait revenir a une vie de famille basée sur le dialogue et L'écoute des autres .

<u>Questions :</u>

1-Quel est le thème principal de ce texte

2-Expliquez le mot Médiocre

3-quelles sont les conseilles présentes par l auteur a la famille

4-Donnez un titre a ce texte

5-Comment voyez vous l évolution de la television (10 lignes)

<u>Observation</u> : vous aurez la réponse a la réception du 2ieme texte a savoir la semaine prochaine .

Bonne chance.

كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية

قسم الفلسفة

المقياس : **منهجية البحث الفلسفي**

المستوى : **السنة الثانية : ليسانس**

الدكتور : لخضر حميدي

الموضوع : **" طرق البحث الفلسفي وتقنياته "**

تمهيد :

المقصود بالطريقة ذلك المنهج المتبع في دراسة مختلف الظواهر أكانت ظواهر طبيعية أو إنسانية . فما هو المنهج ؟

حسب لسان العرب المنهج هو المنهاج وهو الطريق الواضح البين ، والنهج هو الطريق المستقيم ، ونهج طريقا أي سلكه ، ونهج الأمر وضح .

ومن خلال هذا التعريف يمكن أن نستشف خاصيتين أساسيتين هما :

1-الطريق الذي يتم إتباعه .

2-الوضوح أو البداهة .

أم في اللغة الفرنسية فالمنهج حسب قاموس " لاروس" هو :

مجموعة من مبادئ وقواعد ومراحل منظمة منطقيا تشكل وسيلة لبلوغ نتيجة معين **(1)**.

أو هو : طريقة تقنية لانجاز فعل أو عمل أو نشاط معين **(2)**. أو هو :

مجموعة قواعد تسمح بتعلم تقنية معينة أو علم ما **(3)**.

وهناك تعريفات عديدة يمكن البحث عنها في المعاجم و العودة إليها . ودون الذهاب بعيدا في هذا الأمر يمكن القول أن أصل كلمة منهج **Méthode** مستوحى من الكلمة اليونانية **Methodus** والتي يعود أصلها هي بدورها إلى الكلمة اليونانية **Methdos (الطريق)** ، والتي تعني المنهج .

والحقيقة أنه لا يوجد مجال بدون منهج ملائم له ، والأمثلة كثيرة على ذلك ، إذ يمكن الحديث عن المنهج الرياضي والمنهج التجريبي والمنهج التماثلي والإحصائي وغير ذلك كثير أكان ذلك في العلوم الدقيقة أو في علوم الطبيعة ، وأخيرا في العلوم الإنسانية التي تسعى جاهدة إلى تحقيق شرعيتها العلمية عن طريق تطبيق مختلف المناهج العلمية كالمنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي والمنهج التركيبي وغير ذلك كثير .

وقد يقول البعض أنتم تتكلمون عن مناهج العلوم وليس مناهج الفلسفة ، نقول بتواضع أن الأمر يتعلق في اعتقادنا بالتعامل مع المنهج الفلسفي بروح منهجية تتوخى الوضوح والتنظيم والترتيب . وحتى نستخلص معنى واضح عن المنهج الفلسفي يستحسن الرجوع إلى مناهج كل من :

المنهج الديالكتيكي (من أفلاطون الى هيجل).

المنهج الجدلي المادي : (ماركس ، ألتوسير ، ماكس فيبر) .

المنهج التحليلي .

لكن قبل ذلك دعونا نتحدث عن ما يلي :

1- المقالة الفلسفية :

سبق وأن تناولتم ، بل ومارستم ذلك في امتحانات الفصول الثلاث ، بل وفي امتحان شهادة البكالوريا .

والمقالة الفلسفية هي الوسيلة التي يستطيع الطالب من خلالها أن يتفلسف . وهذا الأخير (أي فعل التفلسف) هو عملية تحليل ومناقشة بهدف تحليل القضية المعطاة ثم إثباتها أو تفنيدها ، أو أخذ جزء منا ورفض الباقي ، إلى أن نجيب عن السؤال المطروح حسب الحل الذي قدمناه في التحليل .

كذلك طريقة المقارنة **Comparaison** وطريقة الوصف **descriptive** ، وحتى تحليل النص .

لا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن المناهج تختلف باختلاف المواضيع . فلكل منهج وظيفته وخصائصه .

وسنحاول هنا سرد أهم المناهج طبقا لما هو في البرنامج رغم أن الباحثين لا يتفقون على تصنيفات معينة . ويقدم لنا تاريخ الفلسفة مذاهب فلسفية تتعدد بتعدد الفلاسفة ، يتفق بعضها مع بعضها الآخر في خطوطها الأساسية ، وان اختلفت في بعض تفاصيلها ، لكن قد تختلف مذاهب أخرى فيما بينها حتى في خطوطها الأساسية . مذاهب أفلاطون وديكارت وليبنتز مختلفة لكن بينها اتفاقا في خطوطها العريضة ، وقل مثل ذلك في مذاهب أرسطو وابن رشد والاكويني ، هيجل ، وايتهد وألكسندر .

لكن التنافر شديد بين أرسطو وهوبز ، كانط وسارتر ، برغسون وراسل ، وهكذا .

لكن لما تتعدد المناهج الفلسفية ؟

تتعدد المناهج تبعا للتصورات التي يعتبرها هذا الفيلسوف أو ذاك أساسية ومركزية في خبرتنا للعالم :

كان أرسطو أكثر اهتماما بالوجود وطبيعته منه بوجود الإنسان ، بينما كان كانط أكثر اهتماما بالإنسان وما يمكنه معرفته من ذلك الوجود . كذلك كان الوجود الإلهي مركزيا في مذهب ديكارت . بينما لم يكن هذا الوجود مركزيا عند آخرين مثل هوبز أو سارتر .

وهذا يعني أن هناك علاقة بين مناهج الفلسفة ومناهج العلوم .

والآن قد يقول قائل : **كيف نثق في هذا المنهج الفلسفي أو ذاك ؟**

وما معيار صدق هذا المذهب الفلسفي أو ذاك؟

لعل أبرز مقومات الثقة والإقناع هي :

1- البساطة .
2- الوضوح .
3- الإقناع .

كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية

قسم الفلسفة

المقياس : **منهجية البحث الفلسفي**

المستوى : **السنة الثانية : ليسانس**

الدكتور : لخضر حميدي

الموضوع : **" المنهج والفلسفة "**

(جدلية الانتظام والفوضى)

تمهيد :

يمكن القول في البداية أن للنظرية الفلسفية طبيعة خاصة إذ لا يمكنك الحكم عليها بالصحة أو الفساد ، كما أنه لا يمكنك الحكم عليها بالصدق أو بالكذب ـ وإنما يمكنك أن تقول عنها فقط أنها مقبولة مقنعة أو مرفوضة غير مقنعة .

وكما ذكرنا سلفا أن مقومات الإقناع تتمثل في : البساطة – الوضوح – الشمول .

لكن ما يلاحظ هو عدم الإجماع في نظرة الفلاسفة ، بل وحتى العوام لطبيعة القضايا الفلسفية .

فمن الأسئلة ما تكون إجابتنا لها ب (نعم) ومنها ما يكون ب (لا) ، ومنها ما لا يمكن تقديم جواب واحد محدد ، وإنما للجوانب جوانب متعددة .

والأسئلة الفلسفية من النوع الثاني يستعصى على الفيلسوف الواحد الإحاطة بكل جوانب المشكلة الواحدة لتعقيدها إذ يتناول جانبا واحدا من جوانبها ، ويدعي أنه الجانب الوحيد ، فيأتي فيلسوف آخر ويطرق جانبا آخر لنفس المشكلة فات سابقه الانتباه إليها .

وحتى بعد عصره يأتي فيلسوف ثالث فيصاب بالحيرة والتردد ويحاول النظر بعين نقدية إلى ما قاله السابقون ، فيرى في كل موقف سابق خيرا ، وفي كل فجوات وعيوبا ، فيحاول التوفيق بينه في نسق واحد ، وهكذا ، مثل المذاهب الفلسفية وهي تشبه بذلك الخرائط الجغرافية المتعددة للكرة الأرضية ، تبرز إحداها تضاريسها ، وثانيها مناطقها النباتية والحيوانية ، وثالثها مناطق المعادن ، ورابعة توضح التقسيم السياسي للدول ، وكل يحقق غرضا .

وبالرغم من اختلاف الفلاسفة ، فإنهم يتفقون في أمرين على الأقل :

أولا :

اتفاقهم في موضوعات بحثهم .

ثانيا :

هو أن تاريخ الفلسفة ينطق باتصال وتطور فكري بين الفلاسفة ، فما من نظرية يقيمها فيلسوف ، وتكون منعزلة تماما عما قال سابقوه ، بل يمكن التماس أصول أي نظرية في التراث الفلسفي السابق عليها ، ولا يخفى ذلك على أحد .

والمتأمل لطبيعة الفلسفة ليجد أن قسطا كبيرا من عمل الفيلسوف هو وضع تعاريف للأشياء التي يتعامل معها ، ولما كانت أشياء غير ملموسة في الغالب ، وإنما هي أفكار ومفاهيم وتصورات مجردة ، فمن المنتظر أن لا يكون واضحا من أول وهلة في تعاريفه وأبحاثه .

من جهة أخرى بما أن الفيلسوف يصدر في عمله عن تفكيره واجتهاده الخاص ، فمن المنتظر كذلك أن تختلف تعاريفه وأبحاثه عن تعاريف وأبحاث غيره من الفلاسفة وإلا لما صح أن يدرج في زمرة الفلاسفة .

ومعنى ذلك من زاوية أخرى أنه ليست هناك (فلسفة) واحدة ، ندرسها كما ندرس الكيمياء أو الفيزياء مثلا ، بل فلسفات كثيرة متعددة الاتجاهات ، مختلفة المشارب ، متناقضة الرؤى ، وحتى النتائج أحيانا ، وقد يساوي عددها عدد الفلاسفة أنفسهم .

وهكذا إذا كان لعلماء الفيزياء مثلا علم واحد (ذو فروع معينة) يدرسونه جميعا ويتعاونون في اغنائه وإثرائه ، يكمل اللاحق منهم عمل السابق أو يصححه ، فإن الأمر يختلف فيما يتعلق بالفلسفة والفلاسفة :

والحق أن هذا الاختلاف كبير جدا من حيث أن لكل فيلسوف فلسفته ، أي تفكيره الخاص ، وبالتالي مفاهيمه ومصطلحاته وتعاريفه الخاصة به ، ومن ثمة وجهة نظر معينة يختلف بها عن زملائه ، وتتميز بها فلسفته .

وإذا كانت الفلسفة هي الخلاصة الروحية لعصرها ، وروح العصر الحاضر هي العلم والعمل ، لم يعد لمباحث الانطولوجيا أو مباحث الوجود التقليدية أهمية كبيرة حيث لم تعد الفلسفة تهتم بالماورئيات وإنما أصبحت تعنى بواقع الإنسان بوضعيته ونشاطه وفاعلياته .

لم تعد الفلسفة تطمح إلى التعبير عن الكون كله في بناء نظري متماسك ، كما كان شأنها من قبل ، لأن الكون أصبح اليوم بفضل تقدم العلوم أرحب وأوسع مما كان من قيل .

إن مهمة الفلسفة اليوم متواضعة ، ولكنها أكثر ايجابية وفاعلية ، إنها تحرير الإنسان من الطبيعة إذ أن **من (ماركس) إلى (سارتر) إلى (ماركوز)** نجد النغمة واحدة ، وهي تحرير الإنسان ، ولكن كل حسب تصوره .

إن الفلسفة إذن هي نظرة إلى الكون والإنسان يشيدها بعقله ، ولكن هذه النظرة ليست واحدة ، بل هناك نظرات متعددة ، وهذا لا يعني الفوضى ، بل طبيعتها تقتضي ذلك .

إن هذه الطبيعة التي تجمع بين وحدة الحقيقة كغاية وبين السبل المتعددة التي تقود اليها كوسيلة واردة في تاريخ الفلسفة ذاته ، فمنابع المعرفة ومبادئ السلوك وماهية الوجود وغايته ومصدره هي مصور اهتمامات الفلاسفة قديما وحديثا ، إلا أن كل فيلسوف سلك إليها مسلكا ، فتولدت عن ذلك مذاهب فلسفية متضاربة متصارعة أحيانا مما جعل بعض الفلاسفة في العصر الحديث يتشككون في قيمتها بل وفي استمراريتها .

لكن تجاهل هؤلاء أن الفلسفة بحكم هدفها طلب الحقيقة الكلية الشاملة إنما تبحث في الأسباب البعيدة والعلل الأولى ، متجاوزة بذلك الظواهر الحسية وشروطها الموضوعية .

غير أن الفلاسفة كما ذكرنا سابقا اختلفوا في تصور هذه الحقيقة ، وفي الطرق الموصلة إليها .

وعلى هذا الأساس فإن هذه الماهية المزدوجة للفلسفة لا تدل على الفوضى أو الانتظام بقدر ما تدل على خصوبة الفكر الفلسفي وتفتحه ، وهي السبب في تهيئة أرضية مختلف الكشوفات العلمية في العصر الحديث .

ومن هنا فإن جدلية الانتظام والفوضى في الفلسفة ليست عيبا فيها ، بل تجسيد لماهيتها ، ودليل على أصالتها ذلك أن لكل فيلسوف يريد معرفة الحقيقة من خلال موقف نقدي قوامه الصرامة العقلية والاستقلالية في الرأي والحكم . وهذه تمثل كنه الفلسفة .